

## حرفيون في تونس يتوقفون عن عزف سمفونية النحاس

## جائحة كورونا وغياب السياح يصيبان قطاع الصناعات التقليدية بالركود

يعيش قطاع الصناعات التقليدية في تونس ركودا حادا منذ سنوات وعطل انتشار وباء كورونا من قدوم السياح إلى المدينة العتيقة في العاصمة فخفت صوت طرق النحاس مع توقف بيع الهدايا وازدادت مخاوف الحرفيين الذين أصبحوا شبه عاطلين عن العمل.

> الصادرة من جوف الورشات وهي تنهال على الصحون النحاسية ويتردد صداها علىٰ طول الزقاق الممتد في سـوق المدينة

> ومع ساعات الصباح الأولئ يثقل الجو الحار في ذروة الصيف حركة السير فى الزقاق وبالكاد يقف المارة أمام محلات الدونسن لتقليب الحقائب والمحافظ الجلدية المزركشة وهي مشدودة إلى

القطع النحاسية بألوانها الذهبية والفضية والنقش على واجهاتها كانت تجذب انتباه أغلب السياح الذين يزورون المدينة

وعلئ جادتي الزقاق بتبادل أغلب أصحاب المحلات الخاوية من الزبائن الحديث الدائر عن الأزمة السياسية في البلاد مع تولى الرئيس قيس سعيد إعلان التدايير الاستثنائية وتحميعه للسلطات مستفيدا من الفوضى، في أحدث انعطافة للانتقال السياسي المتعثر منذ 2011.

وينحرف الحديث أحيانا إلى السباب والشتائم ضد الطبقة الحاكمة بسبب استفحال الأزمة الاقتصادية في البلاد. ولكن الحرفى لطفى الغربى لا يلقى بالا إلىٰ النقاش الصَّاخب عليَّىٰ مقربة من ورشيته ويفضل استغلال كل دقيقة لاستكمال النقش على الصحن النحاسي. يعمل لطفى نقاشيا على النحاس منذ أكثر من أربعةً عقود وتقع ورشته في

> قلب المدينة العتيقة على مقربة من جامع الزيتونة الشهير. وهو من بين القلائل الذين ظلوا يزاولون هذه المهنة رغم تدهور الوضع الاقتصادي الذي تسبب في أثار مدمرة على عشرات الآلاف من الناشطين في الأعمال الحرفية

والقطاع بشبكل عام. ويعد

모 تونس - تعلو أصوات المطارق محظوظا هذا اليوم مع قدوم زبون إلى الورشية. ويتعين عليه الانتهاء بسرعة من نقش خارطــة تونس وعلم البلاد على الصحن قبل تسليمه إليه.

يقول لطفي "عندما كان الوضع مستقرا ويأتينا السياح من كل العالم كنت أجني أكثر من ألف دينار. وفي خلال أسبوع قد أحصل على 400 دينار ما يعادل 145 دولارا أميركيا، لكن اليوم سأكون محظوظا لو جمعت 60 دينارا (21 دولارا) في الأسبوع".

ويضيف دون أن يحيد بتركيزه عن الصحـن النحاسـي "نحن علـــي الحافة. نعانى من هدا الوضع منذ سنوات. والأزمة متراكمة بدءا بالضربات الإرهابية ولكن زاد الوضع تعقيدا مع تفشىي فايروس كورونا".

ويشير لطفي المحاط بالسلع المكدسة في مُحلَّهُ إلَـٰيْ أَنْهُ سَـٰيِحِتَاجِ إِلَىٰ خُمِسَ سنوات لخلاص ديونه المتراكمةً.

وفي ذروة الموسيم السياحي في سنوات الاستقرار تجتنب القطع النحاسحة بألوانها الذهيحة والفضية والنقش على واجهاتها انتباه أغلب الوفود السياحية التي تزور المدينة.

ويختلف الضرب على النحاس عن تقنية الحفر وهناك إحمالا أكثر من عشرة اختصاصات في التعامل الحرفي مع النحاس. ومن الوّاضيح أن الحرفة استفادت بشكل كبير من التأثيرات



الحرفيين بدأ يتناقص بشكل حاد في

ويقول حرفي ستيني على بعد أمتار الجيل الجديد من الحرفيين".

ولكن الصبر قد لا يكون متاحا لدى الجميع، فقد أصابت الأزمة الصحية القطاع السياحي المنهار في مقتل، ولم تساعد المنح الصغيرة التي قدمتها الحكومة لصغآر الحرفيين على الاستمرار في فترات الحجر الصحي. وفضل كثير منهم الإغلاق المؤقت والانتظار على أمل انفراج قريب للأزمة.

ملاحقين قضائيا بسبب الديون. وقال الشيخ الستيني "لم تبد الدولة اهتماما بحماية الحرفيين المهددين بالإفلاس. كثيرون غادروا للبحث عن لقمة

من ورشــة لطفيُّ "هــذه حرفة تحتاج إلىٰ الصبِّر والكفاح وهذا الأمر لا يتوافق مع ويضيف الرجل "ثمة عنصر مهم هو

الموهبة والنوق الفني. تصقل الموهبة بمرور الوقت وبالتسلح بالصبر".

وكثيرون منهم هاجروا السوق وذهبوا إلى أعمال أخرى أو غادروا البلاد مثلما تشسير إلىٰ ذلك المحلات المهجورة. ويقول تجار إن عددا من الحرفيين باتوا

مكان آخـر ولا يتوقع عودتهـم ثانية إلىٰ النقش على النحاس. لقد تعبو ا". ولا تقتصر متاعب القطاع على الأزمة

الاقتصادية وحدها، فالنحاس لم يعد ذا أولوية في بيوت التونسيين كما كان الأمر في الماضي. كما لا يستهوي العدد القليل من السياح القادمين من روسيا ودول شرق أوروبا اقتناء مثل هذه الهدايا المترفة، وفق ما يقوله التجار والحرفيون. وثمـة عامل آخر مهم يرتبط بأسـعار الأوانى النحاسية، إذ أن ارتفاع أثمانها بسبب ارتفاع تكلفة الإنتاج وغلاء مادة النحاس والمواد الأولية الأخرى أدى إلىٰ

عصرية رخيصة مصنعة من مواد أخرى مثل البلاستيك، وهو ما أدى إلى ركود المنتجات النحاسية التي فقدت قاعدتها الأساسية المتمثلة في السياح القادمين من الأسواق التقليدية في غرب أوروبا بسبب تعطل الرحلات الدولية نتيجة الجائحة.

ومن جهة ثانية، بشكو الحرفيون من

تراحع الإقبال عليها محليا بسبب تضرر

القدرة الشرائية للتونسيين. وحلت محل تلك المنتجات قطع

بروز القطع النحاسية المزيفة وانتشار المواد الأولية المغشوشية فيي ظل احتكار المواد ذات الجودة من قبل بعض التجار والمضاربين المتطفلين على القطاع. وبسبب تدنى هامش الربح إلى الحد







لوحات تجذب السياح

لمن ندق النحاس

الأدنك، لا يجد التجار مفرا من استيراد خيار آخر... لن أترك المهنة. هذا عالمي". ويتابع لطفي متفائلًا "إذا زال الوباء منتجات نحاسية رخيصة الثمن من ينتعش الوضع تدريجيا ومع تولى الرئيس سعيد زمام الأمور نتطلع إلى لكن لطفي ومثـل الكثير من الحرفيين في المدينة العتيقة لا يعفى السلطة

تغير الأوضاع وإلى مستقبل أفضل". ويستدرك"إذا عادت الطبقة السياسية السابقة فلن يتغير شيء. ليس لدي انتماء سياسي ولكن هؤلاء تسببوا في وضع كارثى وفي تدمير الاقتصاد . لقد تسببوا في إفقارنا حد الخصاصة".

تطوان شكلت منذ سنة 2017 جزءا من

شبيكة المدن المبدعة لمنظمة اليونيسكو

بفضل مأثرها التاريخية وتقاليدها

. وحضارتها، وإرثها العربي – الأندلسي،

ونسيجها الثقافي المتميز الذي تحتل

محمد الخنشـوف أن المدرسة تسعى إلى

نقل الخبرة الحرفية التطوانية المتجذرة

للأجيال الصاعدة، ومساعدة المتعلمين

الشبباب على اكتشباف وصقل طاقاتهم

الإبداعية، وتطوير ملكة الإبداع لديهم،

حتى يتمكنوا من أخذ المشبغل والمساهمة

بفعالية في الحفاظ على الموروث الحرفي

المغربي، لاسيما حرف الصناعة التقليدية

وأكد المؤطر بورشية "الحدادة الفنية"

هذه المدرسة ضمنه مكانة خاصة.

## مدرسة الصنائع والفنون بتطوان قلعة الحرف في المغرب

🥊 تطــوان (المغــرب) - تشــكل مدرســة الصنائع والفنون بتطوان، البناية التي تنضح فنا وثقافة، معلمة تاريخية كرست نفسلها لأكثر من 100 سلنة في خدمة النهوض بالإبداع وحماية ونقل الموروث الثقافي والفني المغربي الأندلسي

وتتميز هده المعلمة الفريدة الواقعة قبالة باب العقلة، أحد الأبواب السبعة التاريخية للمدينة العتيقة لتطوان، بجماليتها المعمارية المصممة وفق الطراز الأندلسي الموريسكي، الذي يشهد على حقبة متميزة للصناعة التقليدية التطوانية كان خلالها يتعايش صناع تقليديون يهود ومغاربة

الحرفية بالمغرب.

وبحمولة تاريخية كبيرة ودفء إنساني ينبع من روح الصانع التي تنساب إلى الإبداعات المنجزة بمنتهى الدقة من قبل الحرفيين بهذ الفضاء الفريد الذي صار جزءا من التراث



ورش متنوعة

مدرسة الصنائع والفنون، التي المعاصر للمملكة، تتميز المدرسة بقدرتها ومساهمتها في حماية ونقل المعرفة ست سنة 1919 خلال حقبة كانت العريقة لرواد الصناع التقليديين إلى المدينة تقبع خلالها تحت الاحتلال التلاميذ الشبباب، بفضل الدعم الثمين الإسباني وأطلق عليها اسم "دار "للمعلمين" الذين يشاركون جسدا الصنعة"، تعتبر منذ ذلك الزمن مؤسسة وروحا في تطويس وإقلاع مختلف المهن فريدة من نوعها للتكوين. إذ كانت مهمتها الأساسية تتمثل في المحافظة علئ الموروث الفنى الأندلسي الموريسكي وتتكون هذه البناية التاريخية من ثلاثة طوابق على شكل رواق دائم الـذي نجـح على مر السـنين فـي جعل للعرض يضم أجود الإنتاجات الحرفية، المدينة رائدة على مستوى التقاليد

التي تجسد للمنجزات التي حققها تلاميد المدرسة. وتضم هذه المؤسسة، التي تحيط بها حديقة رائعة، إدارة ومكتبة وأروقة للعرض ضمنها رواق الرسام الإسباني

بالإضافة إلى الجوائز والهدايا التقديرية

ماريانــو بيرتوتشــى، والفضاء المتحفى الحاج عبدالسلام بنونة، وورشات للتعلم في العديد من الحرف، وفضاء سيدي المنظري للفن والتراث، المحدث في إطار برنامج التعاون الدولي للتنمية بين وزارة الثقافة وحكومة جهةً وفي تصريح لوكالـة المغرب العربي

للأنباء، أكد المدير الإقليمي للثقافة بتطوان أحمد يعلاوي أن هذه المدرســة المرموقة اضطلعت منذ تأسيسها سنة 1919 بدور هام في تكوين الشباب المنحدرين من مدينة تطوان والمناطق المجاورة في مهن الصناعة التقليدية، لاسيما التي في طريقها للانقراض من أجل الحفاظ على هذه الحرف وتشبجيع الأجيال القادمة على الاستثمار في الفن الحرفى والمساهمة في المحافظة على مختلف التقاليد الفنية التي تميز مدينة

الحمامـة البيضاء وتعتبــر مصدر فخر وأشار إلىٰ أن "الحرفيين الخاضعين

للتكوين" بهذه المدرسة يتلقون دروسهم وفق أحدث التقنيات المعمول بها، مسجلا أن التلاميذ الذين غادر أغلبهم حجرات الدراســة يســتفيدون من تكوين مجاني يمتد لأربع سنوات في مهن الصناعة التقليدية، من شائنه منحهم تكوينا مهنيا يخول لهم نيل شهادة، إلى جانب تقوية كفاءاتهم، بما يمكن من تسهيل ولوجهم لسوق الشبغل.

وأشسار يعلاوي، وهو مدير المؤسسة بالنيابة، إلى أن المدرسة تضم العديد من ورشيات الصناعة التقليدية ضمنها الفخار والسيراميك والجبص والحديد المسبوك والطرز، بالإضافة إلى الخشب المطرز والمنحوت، يؤطرها صناع تقليديون مهرة يحرصون على نقل خبرتهم وتجاربهم للتلاميذ وزرع حب هذه المهن فيهم.

وتابع أنه خلال كل سنة دراسية يتابع أكثر من 100 تلمية دروسا في مختلف التخصصات كالنجارة والطرز والسيراميك التقليدي (الزليج التطواني) والجبص والحدادة،

معلنا أن عدد التلاميذ المسجلين هذه السنة بالمؤسسة بلغ 76 تلميذا يتوزعون على مجموعتين بمختلف الورشات، بسب

الظروف المرتبطة بجائحة كورونا. وسجل أنه بالإضافة إلى دورها الرئيسي المتمثل في التكوين، تساهم مدرسة الصنائع والفنون في التنشيط الثقافي لمدينة تطوان، باحتضان على

امتداد السنة أنشطة فنسة وندوات وقراءات شعرية وحفلات توقيع كتب، وذلك بتنسيق فعاليات المجتمع المدنى، مشيرا إلى أن هذه المنشئة تشكل فضاء متحفيا بامتياز يضم رواقا دائما للعرض. وأكد يعلاوي على ضرورة تعزيز الإمكانيات المالية والبشسرية الموضوعة رهن إشارة المدرسة، من أجل دعم تأطير وتشبجيع التلاميذ على إكمال تكوينهم

فى أحسن الظروف، مشيرا إلى أن مدينة

الخارج بالرغم من رداءتها.

والسياسيين من مسؤولية تدهور

الأوضاع إلى هذا المستوى غير المسبوق.

ويعلق على هذا قائلا "لقد فشلوا في

إدارة الأزمة الصحية وفي السياسة

الخارجية لكن أتوقع الأفضل ليس لدى

المدرسة تتميز بقدرتها على حماية ونقل المعرفة العريقة من رواد الصناع

المهددة بالاندثار. أما حاتم فعواج متدرب بورشة الحدادة فأكد أن المؤسسة فسحت له المحال لتقويسة معارفه وكفاءاته في هذا الميدان وتطوير حسبه الإبداعي، ما التقليديين إلى جيل الشباب سيمكنه من التمكن من تقنيات الحدادة الفنية وتحقيق حلمه بأن يكون له

مستقبل في هذا التخصص. وبمناسبة تخليد نهاية كل سنة دراسية، تنظم المدرسة مسابقة خاصة مع توزيع الجوائر والهدايا على المعلمين والتلاميذ المستحقين، الذين تمكنوا من إنجاز أجود الأعمال الفنية.

وتعتبر مدرسة الصنائع والفنون بتطوان أكثر من مجرد مدرسة للتكوين على اعتبار أنها تشكل متحفا حيا بامتياز يزخر بالعديد من الكنوز التى تبرز بجلاء عبق التاريخ وفن الصناعة التقليدية.